http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (2231) السنة التاسعة - الاربعاء (24) آب 2011

بعد خمسين عاماً على رحيله

حياة مضطربة أفضت الى الانتحار

قبل خمسين عاماً، وفي ساعة مبكرة من صباح ١٩٦١/٧/٢ استيقظ من نومه إيرنست همنغواي، أشهر الروائيين الأمريكيين وواحد من كبار كتاب الرسائل في العالم- وكان في منزله في جبال سوتوث/ إداهو، ثم غادر فراشه بهدوء كيلا يوقظ زوجته ماريا، وفتح باب الغرفة التي تضم أسلحته واختار بندقية ذات فوهتين، كان يفضل اصطياد الحمام. حمل البندقية متجهاً إلى واجهة المنزل، حيث البهو الأمامي، وضع الفوهتين على جبينه، ثم أطلق النار مفجراً دماغه. وحددت ساعة الوفاة في السابعة صباحاً. والذين شاهدوا جسده، قالوا انه قد اختار أفضل ملابسه، التي كان يطلق عليها،"رداء الإمبراطور"، وقالت أرملته للصحفيين،"كانت حادثة سيئة"، وإن إيرنست كان ينظف إحدى بنادقه، وانطلقت الرصاصة منها عفواً."ونشرت تلك الحادثة على الصفحات الأولى لكافة الصحف الأمريكية.

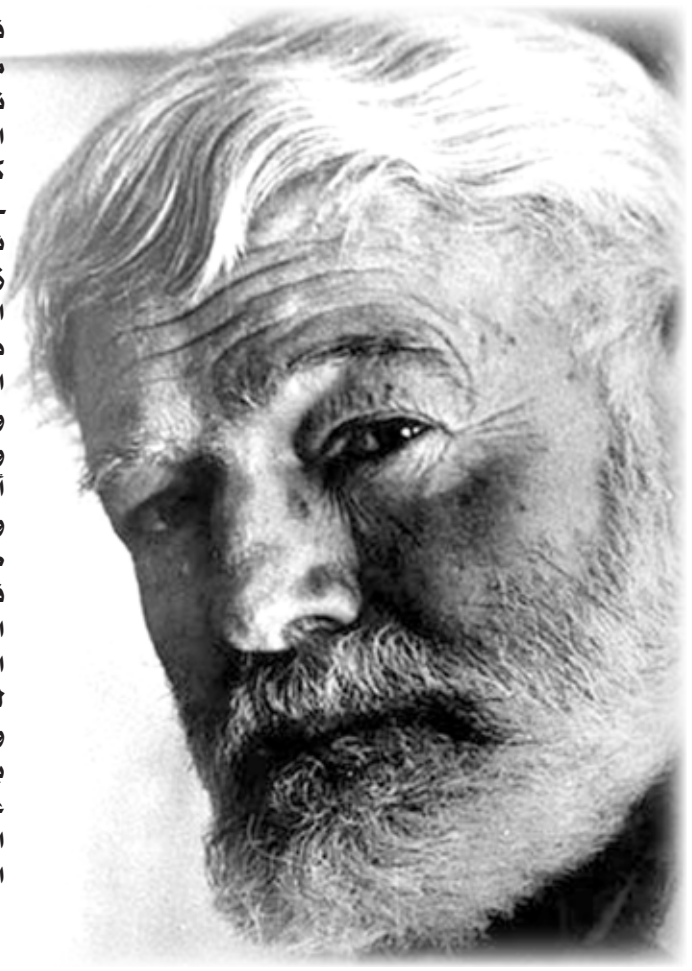

ابتسام عبدالله

ولكن ماري همنغواي، اعترفت بعد عدة أشهر على وفاة زوجها،"أنه قد انتحر"، فلماذا انتحر إيرنست همنغواي؟ ويتناول"جون وولش"، عملية الانتحار تلك، بعد مرور خمسين عاماً، ويبحث في أسبابها ونوازعها في كتابه الجديد: لماذا ينتحر كاتب عملاق، شارك في العديد من الحروب، الصياد ومصارع الثيران، ورجل ذو علاقات متعددة ، جاب مختلف أنحاء العالم! ولقد بحث عدد من الكتاب المعروفين في حياة همنغواي، ونشرت عنه العديد من الكتب التي تناولت سيرة حياته، بناء على الحقائق المألوفة عنه: رحلاته، غرامياته، أفضل أعماله. كانت حياة همنغواي بسيطة، وهو شخصياً ملاكم محب للمغامرات والحياة الخطرة يفضل الأعمال الخطرة باستمرار، وإضافة إلى كل تلك الصفات، كان من أفضل الكتاب، يمتلك أسلوباً جميلاً مشبعاً بالأحاسيس.

انه الرجل المثالي فقد شارك في الحرب العالمية الأولى. محارباً وسيماً على الجبهة الايطالية، وعندما أصيب ونقل إلى المستشفى أحبّ الممرضة التي قامت برعايته وهي ماريّا. وفي الحرب العالمية الثانية، كان في نورماندي، وانخرط مع القوات التي حررت باريس. بعد انتهاء الحرب عاد إلى كوبا، حيث زوجته الرابعة، لممارسة الصيد ويكتب،"الشيخ والبحر"، وفاز عنها بجائزة نوبل.

في الأعوام التي سبقت وفاته، بدأت الحقائق الملتوية في حياته تظهر تدريجياً. كان في الـ١٨ من عمره عندما انخرط في الحرب العالمية الأولى (جندياً غير مقاتل) بسبب وجود عيب في عينه اليسرى، وكانت مهمته في إيطاليا الإشراف على حوانيت الصليب الأحمر وإخلاء الجرحى، وهناك أصيب في قدمه ونقل الى مستشفى في ميلان.

وفي باريس، حيث أمضى وقتاً طيباً مع زوجته الأولى هادلي،و بدأت سمعته تنتشر ككاتب وتتجلى انفعالاته الحادة، تخلى عن زوجته وطفلها، وسافر مع "بولين"، إلى فلوريدا. ولعدة أسباب أصبح همنغواي شغوفاً بمصارعة الثيران، وتجميد الدم، ومراقبة المصارع وهو يغرز السيف في الثور. وفي"موت في الظهيرة"، تظهر نوازعه بوضوح وفلسفة الموت لديه. ولأنه لم يستطع مصارعة الثيران رسمياً، فقد انتقل إلى موميا، حيث بإمكانه قتل الأسود والبقر الوحشي. ولم يكتف بذلك بل اشترى طرادة كبيرة الحجم، ليقوم برحلات بحرية منطلقاً من هافانا ويصيد الحيوانات البحرية المختلفة ومنها سمك المرلين الذي يبلغ طوله ضعف طول همنغواي نفسه. وما بين ١٩٢٨-١٩٣٦، أمضى أشهراً طويلة في الصيد، وتكونت شخصيته المتميزة بالوسامة والأعمال الجريئة والمغامر السكير، الذي يمضي وقته في بارات البحارة عند الموانئ.

وقد ذهب همنغواي الى اسبانيا في خلال الحرب الأهلية، للقتال ضد قوات فرانكو مثل جورج أورويل- ولكن بسبب اتفاقه على كتابة تقارير صحفية بجريدة الآينس، أكدّ مرات عدة عدم انتمائه لأي طرف في الحرب.وفي مدريد على الرغم من الحرب، أمضى أوقاتا طيبة في المطاعم مع صديقته الجديدة مارثا وفي فندق غايلورد. وقد كتب هناك مسرحيته عن مدريد في عام ١٩٣٦ باسم،"العمود الخامس"، وكتب هناك "وداعاً للسلاح".

وعندما انضمت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٤، سافر همنغواي إلى انكلترا "أعمال تخص الحرب"، مراسلاً لصحيفة كوليير، وأمضى هناك فترة من الوقت، متلقياً المديح ككاتب أمريكي كبير، ولمظهره ولحيته.

وبعد شفائه من حادثة سيارة، انضم إلى قوات الجنرال باتون، لغزو النورماندي" حيث نقل أخبار الحرب إلى إحدى الصحف. وعند تحرير باريس، كان في احد فنادقها مع ثلة من الجنود، وقام بتحرير فندق الرتز وحصل على غرفة فيها، مع صديقة جديدة وهي ماري ويلش.

من السهل بعد ذلك الحقد على همنغواي: إن كل تلك الجلسات والتقارير التي يعدها للنشر، وزهوه المفعم بالغرور، بإمكانها أن تلقي ظلالاً من الشك على شجاعته. كان يحب أن يتواجد في خضم الحرب- الدبابة تتقدم عبر جبال الاردينيز، معركة بولج- يراوغ الاطلاقات النارية، ويراقب الرجال يتساقطون في جحيم النيران من حوله ،ومع ذلك، من الصعب التخلص من ذلك الإحساس من أن ما فعله لم يكن شجاعة بل نوعاً من الاضطراب العقلي والهوس لتمثيل الذات. وعندما نفحص صورة همنغواي- كبطل، نكتشف، طبقة ثانوية من تدمير الذات،فقد أمضى همنغواي نصف حياته مدمراً ذاته بشكل جنوني.

ففي عام ١٩٢٨، وكان موشكاً على الانتهاء من، "وداعاً للسلاح"، عندما علم ان والده كلارنس قد انتحر باطلاقة على رأسه، وآنذاك إنهار جزء من حياة همنغواي للمرة الأولى. ثم تعرض بعد ذلك لعدد من الحوادث وأصيبت رأسه في معظمها ومنها حادثة سيارة كان يقودها، واقتضى علاجه ٥٧ غرزة في الرأس، وتلتها حوادث أخرى، منها إصابة جبهته في كوبا. أما أشدها خطورة، فكانت تحطم الطائرة الصغيرة التي كان يقلّها مع ماري بالقرب من شلالات فيكتوريا- أفريقيا وأصيب بالتواء كتفه وتم نقله بمروحية صغيرة، لكنها انفجرت واشتعلت فيها النيران وهي في المدرج. وعندما وجد همنغواي الباب مغلقا، ظل يضرب عليه برأسه حتى انفتح، وكانت إصاباته متعددة: حرق في الوجه، طرش الإذن اليسرى، خلل في رؤية العين اليمنى، التواء عضلات الذراعين والكتفين والساق.

وكان همنغواي مدمناً للمشروبات الروحية المختلفة ولم يبال بنصائح الأطباء وتدهور صحته سنة بعد أخرى. فأيّ فكرة حمقاء كانت تلازمه؟ أهي استعراض للرجولة؟ لماذا كان منجذباً إلى الحرب؟ القتال، الملاكمة والصراع؟ لماذا أراد قتل مخلوقات كثيرة؟ هل كان يريد البرهنة على شيء ما؟ أو استخراج شيء من حياته؟

بعض تلك الإجابات توفرت في عام ٢٠٠٦، إثر دراسة نشرها الأخصائي في علم النفس د. كريستوفر مارتن، بعنوان،"تشريح الانتحار"، وكان د. مارتن قد قرأ أكثر من ١٥ سيرة لحياة همنغواي. وقالت الدراسة إن الكاتب عانى من ثنائية القطب، التبعية للكحول، إصابات في الدماغ، والنرجسية. ولاحظ الطبيب إن الكآبة قد أصابت ستة أعضاء من أسرته: والده ووالدته وأشقاؤهما، وابنه وحفيدته مارغو- السادسة التي أقدمت على الانتحار. كما أكد د. مارتن، أن في طفولة الكاتب تجارب ساعدت في تكوينه ذلك.

فقد كانت والدته غريس، تلبسه وهو طفل ثوباً أبيض وإطالة شعره كالبنات وبالغت في ذلك. وكانت تشير إليه، وهو في ثوبه المزين بالدانتيلا بـ"لعبتي الهولندية"، حتى بلغ الثانية من عمره، ومرة صاح "لست بدمية"، سأقتل تلك الدمية،"وكان طفلاً حسّاساً، وبدأ يشعر بكراهيته لها مشيراً إليها دائماً،"المرأة السيئة". وأمضى بقية حياته مستعرضاً رجولته. والمشكلة، أنه كان يكره والده الضخم الجثة الذي كان يضربه بالسوط وعندما انتحر والده بإطلاقه على الرأس، أحسّ بتأنيب الضمير وكان في الـ٢٩ من العمر، كما أحس بالانيهار لتلك الحادثة. وعانى أيضاً من أزمة مستديمة في شخصيته غير المستقرة: فهو دمث وكريم أو قاس يحب السيطرة، وصداقاته غير ثابتة، وعلاقاته مع النساء كانت متأرجحة لا ثبات فيها، واستحكمت لديه عقدة انتحار والده واستقرت فكرة الموت في حياته. ونجد هذه الفكرة منتشرة في أعماله، ورسائله مليئة بفقرات تشير إلى انتحاره مستقبلاً ،ولهذا السبب دفع نفسه إلى المهالك والحروب والثورات، ومصارعة الثيران، وصيد الحيتان، وكأنه يستعجل الموت، في أفريقيا، أوروبا، وكوبا.

وقال يوماً لافاغاردنر، "أمضيت معظم حياتي في قتل الحيوانات والأسماك، ولذلك سأقتل نفسي".

وبالتأكيد كانت الكتابة وسيلة للابتعاد عن الموت، ففيها يلمّع حياته وتجاربه في ايطاليا، اسبانيا وجبال اردينيز، وفوزه بجائزة نوبل عام ١٩٥٤ كان نصراً له وتأكيداً لنبوغه، ولكن القلق أحاط به، خوفاً بعد ذلك، إذ إن اغلب من فازوا بها، توقفوا بعد الجائزة عن كتابة أعمال تتجاوزهم إبداعاً.

وبعد عام ١٩٦٠ وجد نفسه غير قادر على الكتابة مجدداً. اختفت الكلمات، وحلّت الكآبة في نفسه بدلاً منها وكذلك جنون العظمة والأوهام، يردّد "هناك من يحاول قتلي"، "هناك من يريد إلقاء القبض عليّ". وخضع للعلاج إثر ذلك ومنها الرجّات الكهربائية ،وفي عام ١٩٦١ فاتحوه بإلقاء كلمة بسيطة في حفل تنصيب جون كندي، ولكنه اعتذر قائلاً:"أنها لم تعد تأتي"، ثم بكى. وحاول بعد ذلك مرتين الانتحار وأرسل للعلاج ثانية وامضي شهرين في سلام بالمستشفى وعندما غادره وعاد إلى البيت، شاهد يوماً مجموعة من قوات الجيش، فقال لزوجته" لقد جاءوا لإلقاء القبض عليّ بسبب امتلاكي الكحول، وفي صباح اليوم التالي، أطلق النار على رأسه، ضجراً من ثقل المرض عليه.

إن عناصر عديدة تضافرت لتكّون شخصية إيرنست همنغواي: الكآبة، الإدمان، الإصابات في الدماغ، التجربة التي مرّ بها في طفولته، الرغبة الاوديبية في قتل والده بسبب ضربه له. إن بناء شخصية همنغواي وأسطورة الرجل الشجاع عبّرت عن إرادته وعن احتياجه إلى تلك الصفات، مضافاً الى ذلك عبقرية الكتابة ،وعلى الرغم من ذلك، سار في الطريق الذي اتبعه والده.لم تفارقه صورة الوالد الكئيب، ضخم الجثة كالثور، والنموذج الذي سار خلفه وطارده طوال حياته. لقد أراد أن يكون الرجل البطل، القوي، الكبير، الذي يسمّيه العالم،"بابا".

عن / الاندبيندنت

في البدء

الحسن والحسين.. دراما التاريخ

■ علاء المفرجي

الجدل الذي رافق عرض مسلسل "الحسن والحسين" والذي يتناول أكثر المراحل في التاريخ العربي والإسلامي احتداماً وإشكالاً، يعيد إلى الواجهة موضوعة تناول التاريخ درامياً، وهي موضوعة لم تجد اتفاقاً عليها من صناع الدراما، على مدى زمن طويل.

ولا مجال للاختلاف في ان الدراما التلفزيونية خاصة مع دخول البث التلفزيوني عصر السماوات المفتوحة، أكتسبت أهمية بالغة بالنسبة إلى منهاج القنوات الفضائية بسبب ما تحققه من نسب مشاهدة عالية، وقد شهدت في العقد الأخير، على الرغم من ندرة الإحصاءات نمواً ملحوظاً، خاصة مع بروز أقطاب إنتاج عربية جديدة وواعدة بعد أن كانت طاقة الإنتاج محصورة في بلد واحد هو مصر، وهو ما أدى إلى بروز مواهب في شتى اختصاصات الفن الدرامي.

واستحوذت الدراما التاريخية على اهتمام قطاع واسع من الجمهور، ما جعلها المشروع الأهم والمفضل للجهات المنتجة.. ومع شيوع هذا النوع من الدراما، برز الاختلاف، من جهة زوايا النظر والقراءة للتاريخ..

ولم يكن مسلسل (الحسن والحسين) العمل الدرامي الأول، الذي كان موضع خلاف بين مؤيد ومعارض له.. ويكفي أن نشير هنا إلى فيلم (الرسالة) الذي يعد أضخم إنتاج سينمائي عربي حتى الآن، فعلى الرغم من أن موضوعه الأساس كان قصة انتشار الدعوة الإسلامية، إلا إن الخلاف الأساس عنه تمثل في عدد من التفاصيل من قبيل تجسيد الشخصيات، وأيضاً سرد بعض الوقائع التاريخية.. وهو خلاف دفع إلى منع عرضه في أكثر من بلد إسلامي، حتى هذه اللحظة، على الرغم من مرور أكثر من ثلاثة عقود على إنتاجه.

والسؤال هو هل ترقى الدراما إلى مستوى الوثيقة التاريخية؟ وهل تلتزم الحياد والموضوعية في تعاطيها مع الاحداث التاريخية..؟

غالباً ما تحاول الأعمال الدرامية التلفزيونية التي تقارب موضوعات تاريخية اكتساب مصداقية التاريخ ودقته، لكن الفن في مقاربته للتاريخ هو صانع للوهم والخيال. والمصداقية التاريخية مسألة فنية.. فالإقناع الفني، وليس الحقيقة المطلقة، هو ما يحدد نجاح أو إخفاق الدراما التاريخية والحقائق هنا ليست ثابتة، بل زلقة متعددة بتعدد الرواة والمفسرين.. فلم تكن زاوية نظر العرب عن صلاح الدين والحروب الصليبية مثلاً متطابقة مع رؤية الغرب المسيحي لها.. أو مثلما وجد البعض في كولومبس كمكتشف عبقري، فإن البعض الأخر قدمه كمهووس وذو نزعات استعمارية دموية، وحتى الأساطير الإغريقية التي قدمت مرات عدة، حاول كل مؤلف لها ان يسقط عليها طابعه وطابع عصره الفكري.. أمين معلوف لم يكن باحثاً تاريخياً لكنه لا خلاف كان روائياً حاذقاً.

التاريخ إذن حق مشروع للمبدع يتعامل معه بشروط ما يكتب.. وفقط عندما نتلمس الوسائل الناجعة التي تحول التاريخ إلى دراما ناجحة، نكون قد تلمسنا جوهر الفن..

فمثلما لا يمكن اعتماد الفن كوسيط صادق ونزيه في رواية التاريخ.. فإن كتب التاريخ ليست بالضرورة مصدر صادق ونهائي بالمطلق.

وهنا تكمن المشكلة في مسلسل (الحسن والحسين)، بكونه تناول موضوعاً خلافياً امتد لأكثر من ألف واربعمئة عام.. فكان أطلاقه بمثل هذه الظروف الملتبسة من شأنه ان يشطي زوايا القراءة لهذه المرحلة من التاريخ. وهو ما يجعلنا نعيد صياغة سؤالنا ليصبح هل ترتقي الوثيقة الى مستوى دراما مستوفية عناصر الاقناع.

عن الكواكب المتساقطة آخر الليل

علي سعدون

لا تقولي مطراً كان هذا الذي يهبطُ
إلى القاع
لا تقولي يشبه الكواكب المتساقطة
آخر الليل
لا تقولي مطراً
إنه الروح بعد أن فقدت بريقها
فتركت الحبل على الغارب
غارب المطر والسخام والكواكب
المتساقطة آخر الليل!
×××
عن سخونة الظهيرة كنت تتحدثين
وكنتُ أصغي بدافع من جحيم
جحيم الرب الذي وَسعت محبته
كل شيء
قلبك وقلبي وأناملنا المولعة
بالتلويح
عن سخونتها كنت تتحدثين
فيما كنت أحلم بليالي الرب
الطويلة
حيث الناس جياع بطيبة منقطعة
النظير
وكان المطر غزيراً
والضمير يلمع مثل الكواكب
لا تقلقه سوى الكراهية التي تلوح
من بعيد
تطاردها على الدوام فكرة المحبة
تلك التي انشطرت ذات يوم
من الكواكب المتساقطة آخر الليل.
×××
من حسن حظي إنك لي
ومن حسن حظك إنني مطرود من
الفردوس
ذلك الذي تتربعين على وسادته
كآخر المارين من الملائكة
أولئك الذين تركوا أثراً
في بستان الرب القائظ هذا
حيث الرحمة تقفز هنا وهناك دون
أن تستقر
وإلا كيف تفسرين ظواهر
الخسران هذه:
الروح وفقدانها
والضمير الذي لم يعد مشرقا
والسخام الذي يهطل كل صباح
مقروناً بالكواكب المتساقطة آخر الليل

متابعة

الأتروشي في اتحاد الادباء.. الشعر إعلان يتحاشى التفاصيل

محمود النمر

بمناسبة صدور مجموعته الجديدة " امرأة من رماد "،أقام نادي الشعر في اتحاد الادباء والكتاب العراقيين، حفل توقيع للشاعر فوزي الاتروشي حضره بعض النقاد والمثقفين ،وقدم الجلسة الشاعر حبيب النورس الذي رحب بالاتروشي وتحدث عنه كشاعر وسياسي ومناضل ، له الكثير من المواقف المشرّفة في خدمة المثقف والثقافة العراقية .

ثم تحدث الشاعر فوزي الاتروشي حول تجربته التي كانت في بغداد عندما كان في الاعدادية ،وفي مكتبة الاعظمية حيث تعرف على كنوز الشعر العربي والمعلقات والعهد الاموي والعباسي والعهد الاندلسي وشعراء المهجر وقال : تعرفت على الشعر الكردي مثل الشاعر احمد جزيري واحمدي خاني ونالي وحاجي قادري كوي وشعراء آخرين ،وأيضا كانت الفترة الثانية التشبع بشعر نازك الملائكة والسياب وباللمقابل في كردستان التشبع (ريتاج بوران) اي – شعر التفعيلة – واستمر معي هذا الوهج الشعري، والانتماء الى شعر التفعيلة اكثر من الشعر الكلاسيكي او الشعر المرسل او بما يسمى الشعر المرسل .

واضاف الاتروشي : وظيفة الشعر هي خلق اللذة والمتعة وتوفيرها عنصر التخييل والموسيقى الشعرية ،وليس بالضرورة ان يكون الشعر حقلا معرفيا كما هي العلوم الانسانية الاخرى ، يجب ان يكون هناك فاصل بين الشعر كفن، وارتباطه الازلي بالموسيقى وبين الحقول البحثية الاخرى، لان الشعر لايمنح المعنى فقط اللذة والخيال وينمي العاطفة ، قبل ان يمنح المعنى فان البحث الانساني او العلمي هدفه الاساسي هو ان يوفر لك المعنى ،هذا هو الاطار الذي ابحث عنه ، لذلك انا اقول الشعر ليس في ازمة ،بعض الشعراء في ازمة حين يلجؤون الى اسلوب لايليق بالشعر في طرح افكارهم ومعاناتهم ومشاعرهم. قرأ الشاعر بعدها قصائد من المجموعة ، بعدها كانت مداخلات حول قصائد الاتروشي تباينت فيها الرؤى والكلمات ،وكان اول المتحدثين الروائية ايناس البدران التي وصفت الشاعر المهتم بالشأن الثقافي وهو المثقف الدؤوب ، واكدت : الاتروشي كان من اوائل الساعين الى انشاء صندوق التنمية الثقافية ، وقد كان اهتمامه بنادي نازك الملائكة ورعايته الكريمة بتكريم العديد من الشاعرات والمبدعات،وكما يقول هو : ان الشعر عندي اعلان يتحاشى التفاصيل. وحدد الناقد فاضل ثامر المسارات الشعرية لدى الشاعر فوزي الاتروشي وقال : الحقيقة انا دائما اعاين تجربة الشاعر الاتروشي وأين أضعها ،داخل تجربة الشعر الكردي ام داخل تجربة الشعر العربي ، في النقد لايحق إن نقول هذه القصيدة جميلة وهذا شاعر وهذا الكلام لايكفي هنالك خارطة شعرية ،اين يقع فوزي الاتروشي من هذه الخريطة ؟ ماالذي انجزه ؟ ماالذي حفره في ضمير هذه الخارطة ،وإلا أي شخص يقدر ان يصدر ديوانا ويتحدث عن الطفولة والمرأة ، هناك ثوابت معينة يجب ان نحترمها ، الحقيقة انه خلط بين شيئين بين صفته كشاعر مبدع ،وبين المقولات النقدية التي اطلقها عن مراحل ثقافية وشعرية معينة ،واعتقد لو ترك هذه المهمة للنقاد لكان افضل ،وليس بالضرورة ان يتحول الى باحث او ناقد يقيم هذه الحركة او تلك ،فهو اعلن بكل بساطة ان جيل الستينات لم يستطع ان يتجاوز جيل الخمسينات ،ويقدم اشكالا جديدة.

الناقد علوان السلمان أكد ما قاله الناقد فاضل ثامر قائلا: ان عملية الخلق الشعري هي محصلة قوى الشاعر الذاتية والموضوعية ، ومكتسباته المعرفية التي تحقق الابداع الذي لا يقوم الا على مبدأ التواصل التي تقرره اللغة ،سواء كانت هذه اللغة كلاما لسانيا او اشاريا او لونيا .

فيما اعتبر الشاعر جمال جاسم امين ان نصوص الاتروشي ذات معان مباشرة وقال :كنت اتوقع ان يقرأ نصوصا دلالية اي انها ذات معان محتملة لامعان يقينية . واضاف جمال : غالبا ما نكتب دراسات عن الشعر العراقي ،دون ان نطعم هذه الدراسات عما يكتب في اللغة الكردية والتركمانية ،وعندما نقول الشعر العراقي ،نقصد الشعر العربي حصرا ونحن نكون شوفنيين بحصر اللغة دونما ان نعرف.

وعقب الشاعر محمد حسين آل ياسين على قصائد المجموعة قائلا :ان سبب جلوسي هنا هي نقطة واحدة، هي ان قصائد الاتروشي في هذا الديوان قصائد نثرية وليست من قصائد التفعيلة وليس فيها وزن ،كلها قصائد نثر ،نعم فيها حرف روي ،فاين الخلل في اعجابه بقصيدة السياب وشكلها ،بقصيدة التفعيلة ،ولم يكتب مثلها، وبنعي الاستاذ فاضل ثامر عدم اعترافه بقصيدة النثر وقد كتبها ،كيف نحل هذا الاشكال؟.

منطقة محررة

سارايفو واستيتيك المقاومة

■ نجم والي

لم يبق أحد أميناً للنادي القديم، إلا صمد الدين محمد ونوفيك، ليس لأنه رجل عنيد، إنما لأن الأمر بالنسبة إليه له علاقة بفلسفته للحياة، من الصعب عليه تخيل حياته دون المكان القديم، صحيح أن بقية زملائه انتقلوا إلى مكان آخر، إلى الجزء الشمالي من المدينة، الحي القديم، إلا أنه أكثرهم مواظبة على المجيء هنا، هذا هو ديدنه مع كل علاقاته القديمة، ليس بما يتعلق بهذا المكان وحسب، بل بالمدينة كلها؛ فرغم المصائب التي حلت بالناس، وبزملائه من كل الطوائف، بالرغم من التراجيديا الشخصية التي عاشها هو ذاته، سقوط زوجته قتيلة بنار أحد القناصين، وموت ابنته الوحيدة بحادث سيارة، وهجرة معظم أفراد عائلته إلا أن القاص والروائي صمد الدين محمد ونوفيك يشعر بأن جذوره في هذه المدينة، كلا لا يريد الذهاب إلى مكان آخر. في الحقيقة يصعب عليه الانفصال عن إنسان أو عن شيء ارتبط به أبداً، الانفصال يعني له الموت، وهنا، كلما عاد للمكان القديم، يشعر بأنه ليس الوحيد الذي لم يمت، إنما المدينة أيضاً.

المكان الذي يعني لمحمد ونوفيك الكثير، والذي زارته مجموعتنا (وفد اتحاد الصحافة الألماني)، هو "نادي الكتّاب في سارايفو"، المتكون من صالة شتوية كبيرة وحديقة خلفية جميلة (ذكرني شخصياً بمبنى اتحاد الأدباء في بغداد قبل إطباق الكوارث على البلاد العراقية هناك)، والذي يقع على بعد عشرين متراً من فندق "الهوليدي إن" ومبنى البرلمان السابق في سارايفو. "الهوليدي إن" الذي كان مكان الصحفيين والوفود الأجنبية إبان حرب البوسنة والهرسك، وعلى مدى سنوات حصار سارايفو الثلاث، أعيد ترميمه الآن، على عكس مبنى البرلمان، الذي ما زال بدون ترميم، يقف شاهقاً مثل هيكل عظمي. في تلك الأيام ورغم القصف الشديد، لم يتوقف أدباء البوسنة والهرسك المقيمون في سارايفو من اللقاء هنا في ناديهم. وفي الصالة الشتوية، حيث عشرات الصور التي تؤرخ جلساتهم تلك، أيام الحصار. نوع من العناد الإنساني، أو الجمالي كما أطلق عليه بيتر فايس في ملحمته المشهورة "أستيتيك المقاومة". الإصرار على العيش والصداقة واختراع الأفراح الصغيرة، والكتابة عن كل موضوع تريد الحرب قتله، تلك هي وسائل المقاومة التي يملكها الكتاب في هذه الأزمان.

في المكان ذاك، جلس كتّاب ومثقفو سارايفو، يتقاسمون مائدة يأس واحدة، يكتبون ملحمة سارايفو ضد القوميين، الغزاة واللصوص والمجرمين؛ كانوا يمثلون كل القوميات والطوائف التي تشكل بلاد البوسنة والهرسك: صرب وكروات وبوسنياك (Bosniac كما يصر البوسنيون على تسمية أنفسهم، والتي تعني ترجمتها حرفياً: بوشناق)، سارايفو كانت بالنسبة لهم مشروع حياة، لأنها بالنسبة لهم خلاصة بلاد البوسنة والهرسك، بلد القوميات المتعددة، وسقوطها يعني سقوط ذلك المشروع، لذلك وقف هؤلاء الكتاب إلى جانب إخوانهم بالمواطنة من سكان المدينة الذين أصروا هم الآخرون على مقاومة الغزاة والعنصريين.... "أنهم ذاتهم يشكلون اليوم الحركة الأدبية "سارايفو ٩٩"، وانتقالهم للمكان الجديد لا يعني تخليهم عن مشروعهم الأصلي، أنه نوع من تغيير المكان"، يقول صمد الدين، ربما لأن النادي كان مكاناً رسمياً لاتحاد الكتاب الرسمي، في زمن يوغسلافيا الشيوعية، وسابقاً، كان من الصعب العثور على مكان بديل، كان عليهم الدفاع عن مشروعهم هناك، اليوم باستطاعتهم الذهاب إلى أي مكان. الشباب منهم، من فنانين ورجال مسرح وتشكيليين يزورون مقهى المتروبولس، أما هم فيجلسون عند "ملايكا"، من النادر أن يزوروا المكان السابق، وحده صمد الدين ظل أميناً لعاداته القديمة.

الروح التهكمية وراوية المفارقة السوداء، وقول الحقيقة مهما كان الثمن، أموراً نسمعها أيضاً من بقية جماعة ٩٩ من كتّاب وفنانين، من المهندس المعماري المشهور ايفان شتراوس، مروراً بالمخرج السينمائي بجار زاليكا، والقاص المشهور ميركو ماريونيفيتش، والقائمة تطول: أوزرين كيبو، وماركو فيسوفيش، نيرمينا كورسباهيتش، ...وغيرهم. كل القصص التي نسمعها منهم لا تسترجع مُثلاً ماضية أو تدعي مُثلاً جديدة، أنها ببساطة تحكي القصص فقط، عن المدينة وسكانها، بعيداً عن الانتساب لطائفة أو حزب، لدين أو جماعة، فبالتالي في سارايفو، "بيت الجثث"، كما سماها محمدينوفيك في قصته الكابوسية المدهشة "شيطان وزهرة، لم يُقتل غير الإنسان، القتلة من كل الطوائف مازالوا طليقين يمرحون بحرية.

لاثة أيام من الإقامة في سارايفو، بعد رحلة عبر البوسنة والهرسك، رأينا روح سارايفو عبر عيون مثقفيها، رساميها، مسرحييها، معمارييها، علمائها وأساتذة جامعاتها، وسواء جلسوا في نادي الكتّاب القديم أو في مقهى المتروبولس الحديث، أو في "الفاسا مسكينا"، فإنهم يلتقون في مكان واحد، عند طاولة يأس مشتركة، لكي يعملوا من جديد على تشكيل "موديل سارايفو الأصيل"، "حيث لا ينتمي الإنسان إلى جماعة معينة، الإنسان هذا الذي أنهكته الحرب، وأتعبته الضغائن، ودمرته الأحقاد". أليس ذلك ما يفعله البعض من مثقفي بغداد؟ إذن أنه أستتيك المقاومة من جديد.